

منهج الشريعة الإسلامية في التصدي لظاهرة الفساد Method of the Islamic sharia to deal with corruption



الدكتورة فغول عربية أستاذة محاضرة "ب"

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة علي لونيبي البليدة (02)

faculty of law and political science lounici ali university blida 2

fegholarbia@gmail.com



تاريخ النشر: 2022/11/24

تاريخ القبول: 2021/05/22

تاريخ الإرسال: 2020/ 12/ 14

ملخص:

الفساد ظاهرة اجتماعية وجدت منذ زمن قديم وهي في تزايد مستمر خاصة في السنوات الأخيرة، فأصبحت مشكلة حقيقية تواجهها دول العالم بصفة عامة والدول العربية الإسلامية بصفة خاصة، وأثبتت الدراسات والبحوث المهمة بهذه الظاهرة أنها تمس وتهدد كل مجالات الحياة وتعطل التنمية والازدهار، لذلك كان من الضروري التصدي لها خاصة في ظل التغيرات المرتبطة بالعولمة.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية، في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفي مسيرة الصحابة ناهية عن الفساد في الأرض بجميع صورته بسبب آثاره الخطيرة على المجتمع وأفراده، ومن الأسباب المؤدية إليه الابتعاد عن أحكام الشريعة الإسلامية، هذه الأخيرة بينت طرق علاجه وكيفية الوصول إلى الحد منه وتحقيق المنفعة العامة للمجتمع وأفراده، لذلك تعد الشريعة الإسلامية هي النموذج المتكامل والفعال الذي جاء بالعلاج المناسب لظاهرة الفساد .

كلمات مفتاحية: الفساد، العلاج، التصدي، الإصلاح، الرقابة.

Abstract

Corruption is a social phenomenon that is constantly increasing in recent years. It's a real problem facing world countries in general and Arab Islamic countries in particular. Studies and researches interested in this phenomenon have proven that it affects all areas of life and disrupts development and prosperity. It is necessary to address them, especially in light of the changes associated with globalization.

Islamic Sharia prohibits corruption on the ground in all its forms due to its dangerous effects on society. Islamic law has shown methods of treatment and how to reach to reduce it. That is why it is considered as an effective model which brought the appropriate solution of corruption .

Key words : Corruption, Treatment, Confront , Reforms, Control.

1- المؤلف المرسل : فغول عربية ، fegholarbia@gmail.com
مقدمة

لم يتفق الباحثون على تعريف موحد للفساد لأنهم تناولوه من زوايا مختلفة حسب تخصصاتهم، إلا أن جمهور فقهاء الشريعة الإسلامية قالوا أن الفساد له نفس معنى البطلان سواء في المعاملات أو العبادات، فكل فاسد باطل في معناه وحكمه.

وقد جاء في الكتاب الحكيم مصطلح الفساد بمعناه الواسع في قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾⁽¹⁾، وقال أيضا: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾⁽²⁾ ، وقال كذلك: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾⁽³⁾، وفي السنة النبوية الشريفة نجد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر الشهيد"⁽⁴⁾.

وعند الصحابة الكرام روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه عزل النعمان بن عدي بن نضلة، لما تغنى بأبيات من الشعر فيها مدح للخمر، إلا انه اعتذر من عمر وبين له أنه ما أراد مدح الخمر وإنما أراد مجرد التغني بالشعر، فقال عمر: «إني لأظنك صادقاً ولكن لا تعمل لي عملاً»⁽⁵⁾.

من هنا يتبين أن الشريعة الإسلامية أولت إهتماماً كبيراً لظاهرة الفساد غايتها تطهير المجتمع من أثارها الخطيرة، فهي شريعة صالحة لكل زمان ومكان. ولذلك فالإشكالية التي تثيرها هذه الدراسة هي:

ما المقصود بالفساد الذي تفسى في كل المجتمعات حيث أصبح يهدد كل المجالات، وكيف تم التصدي له وفقاً لمنهج الشريعة الإسلامية ؟
ومن خلال إجابتنا على الإشكالية اعتمدنا الخطة الآتية:

1- مفهوم الفساد في الشريعة الإسلامية

1-1- تعريف الفساد في الكتاب و السنة وعند الصحابة

1-2- أسباب الفساد في الشريعة الإسلامية

2- طرق التصدي للفساد في الشريعة الإسلامية

1-2- تكريس مبدأ الشفافية في الشريعة الإسلامية

2-2- تطبيق مبدأ الرقابة في الشريعة الإسلامية

الخاتمة

1- مفهوم الفساد في الشريعة الإسلامية

أمر الله سبحانه وتعالى النبي الكريم " ﷺ " بابتغاء الآخرة وعدم نسيان الدنيا والابتعاد عن الفساد في الأرض لخطورة أثره، وبهذا بلغ النبي " ﷺ " الصحابة الذين سلكوا طريقه فكانوا خير خلف لخير سلف، ولا يختلف فيه إثنان على أن الشريعة الإسلامية كانت سبّاقة في تناولها موضوع الفساد وهذا ما سوف نتناوله فيما يلي :

1-1- تعريف الفساد في الكتاب والسنة النبوية وعند الصحابة

قبل التطرق إلى تعريف الفساد في الكتاب الحكيم و السنة النبوية الشريفة وعند الصحابة الكرام لابد من الإشارة إلى تعريف هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية حيث كلها اجتمعت على أنّ الفساد يفيد الخروج عن الاعتدال والانحراف عن الطريق المستقيم، فهو نقيض الصلاح والمفسدة ضد المصلحة، كذلك هو التلف، الخل، الاضطراب، التدهور، إلحاق الضرر (6). وبهذا المعنى سوف نتناول تعريفه في الكتاب الحكيم وفي السنة النبوية الشريفة ثم عند الصحابة الكرام في التالي:

1-1-1- الفساد في الكتاب الحكيم

لقد جاء لفظ الفساد في الكتاب الحكيم بمشتقاته في دلالات كثيرة وسياقات مختلفة، من أهم معانيه التخريب، التدمير، المنكر، الظلم، المعاصي، الكفر، الطغيان، وتكرر هذا اللفظ تقريبا خمسين مرة في إحدى وعشرين (21) سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة المائدة، سورة الأعراف، سورة الأنفال، سورة يونس، سورة هود سورة يوسف، سورة الرعد، سورة النحل، سورة الإسراء، سورة الأنبياء، سورة المؤمنون، سورة الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، سورة الروم، سورة غافر، سورة محمد، وسورة الفجر، ومن أمثلة ذلك (7) :

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (8)؛
- وقال أيضا: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (9) ؛
- وكذلك قال: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (10)؛
- وقال أيضا: "﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (11)؛
- وقال أيضا: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ (12)؛
- وأيضاً: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (13).

و يتضح من هذه الآيات القرآنية الكريمة أن مدلول الفساد جاء واسعا وشاملا لجميع أنواع الفساد وصوره، بحيث اعتبرت كل المعاصي فسادا في الأرض.

1-1-2- الفساد في السنة النبوية الشريفة

لقد وردت في أحاديث النبي ﷺ كلمة الفساد الدالة على بعض المعاني التي جاءت في القرآن الكريم ومنها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبّهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى

الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (14)

ومعنى هذا الحديث أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات، واتقاء الشبهات بحسب صلاح قلبه، فإن كان القلب سليماً صلحت حركات الجوارح كلها وإن كان القلب فاسداً فسدت حركات الجوارح كلها (15).

كذلك عن حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه وإذا فسد أسفله فسد أعلاه" (16). وعن حديث أبي إمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم" (17).

كذلك جاء معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" (18).

كما أن القرآن الحكيم تحدث عن الفساد والمفسدين، تحدثت السنة النبوية عن ذلك أيضاً، فالفساد في الأرض يؤدي إلى تطاول أهل الشر على أهل الخير، مما ينتج عنه ضياع حرية الإنسان وكرامته، فتصبح المجتمعات تعيش في فوضى لا أمان ولا استقرار.

1-3- الفساد عند الصحابة الكرام

بالرجوع إلى مسيرة الصحابة رضي الله عنهم فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: «شر الناس ثلاثة : متكبر على والديه، يحقرهما ، ورجل يسعى في فساد بين الناس بالكذب حتى يتباغضوا ويتباعدوا، ورجل يسعى بين رجل وامرأة بالكذب حتى يغيره عليها بغير الحق حتى فرق بينهما ثم يخلفه عليها من بعده» (19).

كذلك من الافعال التي وجدت في عهد عمر رضي الله عنه « أن أم أرادت أن تمارس فعلا من أفعال الاحتيال فقالت لابنتها قومي فاخطي اللبن بالماء، قالت الفتاة، إن أمير المؤمنين عمر نهى عن ذلك، فقالت الأم :إن عمر لا يرانا فقالت الفتاة :إذا كان عمر لا يرانا، فرب عمر يرانا » (20)

وروي عن قيس قال: « قد احرق لي علي كرم الله وجهه بيادر بالسواد كنت احتكرتها لو تركها لربحتها، مثل عطاء الكوفة » (21).

ومن هنا ندرك أن الدين الإسلامي يسعى إلى السمو بالحاسة الخلقية للفرد، والارتفاع بها بالقدر الذي يصير الضمير الإنساني هو الحارس الرقيب على أعمال الفرد وتصرفاته فتمكنه من فعل الخير و الابتعاد عن الشر.

1-2-1 أسباب الفساد في الشريعة الإسلامية

إن معرفة أسباب الفساد لها أهمية بالغة لتحديد طرق علاجها والتصدي لها في الشريعة الإسلامية التي تستلزم تنفيذ أحكامها، خاصة وأنها جاءت لجلب المصالح ودرء المفساد، وعلى هذا الأساس سوف نتناول بعض أهم أسباب الفساد في مايلي:

1-2-1- غياب الأخلاق بالبعد عن العقيدة الإسلامية

إن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الموقظة للضمير المهذبة للنفس، تتصل بحياة المسلم الخلقية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ومتى ابتعد عنها تظهر الانحرافات في المجتمع، حيث يصبح يعيش في فراغ روحي عقائدي، ومن ثم ينحرف نحو الفساد، لذلك فالعقيدة الإسلامية لها تأثير روحي يبعث على الأخذ بمكارم الأخلاق في السلوكيات مما يساعد على النجاح الحقيقي وتعد الأخلاق من أهم المبادئ التي تقوم عليها الحياة في كل المجالات، وقد ورد التأكيد على الأخلاق عندما جاءت الآية الكريمة تخاطب النبي "ﷺ" بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (22).

ومن هذه الآية يتبين أن النبي "ﷺ" قد بعث ليتم مكارم الأخلاق حيث قال "ﷺ" "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ويعد حسن الخلق اعتدال قوة

العقل وكمال الحكمة، واعتدال قوة الغضب والشهوة وخضوعها لقوة العقل المعتدلة وعليه فالتجرد من المثل الأخلاقية يؤدي حتما إلى الفساد⁽²³⁾.

ولذلك لابد أن نعلم أن أول وسيلة من وسائل حماية المجتمع تكمن في ثبات العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك والضلال وأن لابد من الاجتهاد لغرس هذه العقائد في نفوس النشء الجديد.

1-2-2- تفشي البطالة وانتشار الفقر

يعتبر الفقر في الشريعة الإسلامية آفة خطيرة على الفرد والمجتمع معا، وله علاقة وطيدة بالبطالة، فكلما ارتفعت نسبة البطالة في مجتمع ما انتشر الفقر، لذلك حرص الإسلام على إتاحة الفرص أمام الفقراء ليقفوا على قدم المساواة مع الأغنياء وقد قال تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾⁽²⁴⁾.

و قال رسول الله ﷺ: "كاد الفقر أن يكون كفرا"، و هو من أهم الأسباب المؤدية إلى انتشار الفساد خاصة إذا كان المجتمع فيه جماعة تعيش الرفاهية والترف، وجماعة أخرى تعيش الفقر والحرمان، و هذا ما يثير النفوس ويحدث الفتن والبغضاء وقد روي عن أبي ذر قال: «عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه»⁽²⁵⁾؛ وحذر الإسلام من الفوارق الطبقيّة بين أفراد الأمة، لما لها من آثار خطيرة على المجتمع.

كذلك حثت الشريعة الإسلامية على العمل المنتج للحلال باعتباره خير وسيلة للكسب، وهو من القيم التي يجب غرسها في النفوس باحترامها وتقديسها والارتقاء بها إلى درجة العبادة، ومن أحاديث النبي ﷺ: "التي تحت على العمل منها ما روي أن النبي ﷺ " قال: " ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه، فهو صدقة ".

وقال كذلك "ﷺ" في الحديث الذي رواه انس ابن مالك رضي الله عنه: "ما من مسلم يغرس غرسا و يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرا أو إنسانا أوبهيمة، إلا كان له به صدقة" (26).

فالإسلام ذو موقف صارم من الفقر لأنه آفة خطيرة، وقد يخشى سوء أثره على العقيدة والخلق والفكر والأسرة والأمة تيملا سلا .

1-2-3- انتشار الجهل و غياب العدل

يقال إذا ساد الجهل في قوم ساد فيهم الضلال بمعنى الفساد، وبالرجوع إلى الشريعة الإسلامية نجد أول خطاب إلهي وجه إلى النبي "ﷺ" ، كان الدعوة إلى القراءة و الكتابة والعلم لأنه شعار دين الإسلام، ونقل الناس من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ولولا العلم لما استقامت أمور الدنيا والدين ، وقال الرسول "ﷺ" : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (27) .

فالعلم يقودنا إلى العدل الذي به قامت السموات والأرض وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (28)، فإن بالعدل تتحقق المصلحة العامة دون تمييز بين أفراد المجتمع.

وقال رسول الله "ﷺ" : "انما هلك الدين من قبلكم إنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد" (29) .

وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لأمير من الأمراء لما ضرب أحد الشباب : « له القصاص أو يعفوا عنك » فرد الأمير -كيف وأنا أمير وهو سوقه - فقال عمر : « لقد سوى بينكما الإسلام » فظل الأمير يطلب العفو من الشاب لكنه تمسك بحقه في القصاص، ولما علم الأمير أن عمر يمكن الشاب من القصاص، فر إلى الروم وإرتد عن الإسلام ولم يبال عمر لذلك ، كذلك من وصية عمر للخليفة بعده: « أوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم و تغورهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم » (30).

ويتبين من هذه الروايات أن الإسلام يحرص على تحقيق العدل والمساواة بين الناس لأنه يأتي بأفضل النتائج في المجتمع الإسلامي.
ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (31) .
فالإسلام بإقراره العدل والمساواة في كافة المعاملات يريد تحقيق مصلحة الجميع .

2- طرق التصدي للفساد في الشريعة الإسلامية

تعد الشريعة الإسلامية منهاج قويم وصارم فهي الطريق القويم والسبيل الرشيد للإصلاح الشامل لكل مجالات الحياة، فهي تحد من ظاهرة الفساد وأسبابها من خلال إتباع مبدئين هما:

2-1- تكريس مبدأ الشفافية في الشريعة الإسلامية

قبل التطرق إلى تعريف هذا المبدأ في الكتاب الحكيم و السنة النبوية الشريفة لابد من الإشارة إلى تعريف هذه الكلمة في معاجم اللغة، حيث يقال شفاف، وثوب شفيف أي رقيق، شف شيف و هو الذي يستشف ما وراءه، أي يمكن أن يبصر ما وراءه، أما اصطلاحاً فهي حق كل فرد في المجتمع للوصول إلى المعلومة ومعرفة آلية اتخاذ القرار ومتى وجدت الشفافية وجدت الثقة والمساعدة في اكتشاف الفساد ومنعه(32)، وبعد هذا المعنى اللغوي والاصطلاحي سوف نتناول هذا المبدأ في الكتاب الحكيم ثم في السنة النبوية الشريفة، وعند الصحابة الكرام.

2-1-1- الشفافية في الكتاب الحكيم

سبقت الشريعة الإسلامية كافة الأمم في تكريس مبدأ الشفافية منذ وجودها، ومصدره هو الشورى التي تستهدف اشتراك الأمة أو الجماعة في الحكم، واتخاذ القرار ومراقبة أولي الأمر في تصرفاتهم و أحكامهم لتفادي القهر والاستبداد، كما أنها تهدف إلى ضمان أن يكون العمل أو النشاط متفقاً عليه منذ بدايته ، فهي تهدف إلى تأليف قلوب الجماعة المسلمة وتربية الفرد على أداء ما عليه بشكل فعال، كما تؤدي إلى تقوية مشاعر التضامن بين أفراد الجماعة،

ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم بمشاورة أصحابه في كل الأمور، حيث قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (33)، وقال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (34).

من هنا يتضح أن الشريعة الإسلامية كفلت للحرية السياسية مبدأ الشورى في الحكم، هذا المبدأ الذي بقي المحكوم والحاكم ويمثل وقاية للحكم كله.

2-1-2- الشفافية في السنة النبوية الشريفة

جاءت كتب التاريخ الإسلامي بالعديد من الوقائع تبين أن الرسول ﷺ "كان كثير المشاورة لأصحابه ففي غزوة بدر، استشار رسول الله ﷺ "أصحابه قبل المعركة حتى ينمي في نفوسهم روح المسؤولية الجماعية، فعندما سألهم المشورة قال سعد بن معاذ سيد الخزرج: «يا رسول الله قد أئمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك فينا ما تفر به عينك، فسر بنا على بركة الله» (35).

كذلك شاورا الرسول: " ﷺ " يوم الحديبية أم سلامة رضي الله عنها في امتناع أصحابه عن التحلل من إجرامهم بعد الصلح، فقد عز عليهم ذلك بعد نية العمرة، فأشارت عليه أم سلمة أن يخرج إليهم ويتحلل من إجرامه دون أن يتكلم، فما إن رآه فعل ذلك حتى بادروا إلى الاقتداء به.

وهكذا كان رسول الله ﷺ " كثير المشاورة مع أصحابه حتى قيل أنه لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله (36).

2-1-3 الشفافية عند الصحابة الكرام

بناء على ماجاء في الكتاب والسنة كان من الطبيعي أن يكون حكم الخلفاء الراشدين قائما على مبدأ الشورى حيث طبقوه على أوسع نطاق، وساروا بهدي القرآن وسيرة الرسول ﷺ، فكانت مواقفهم من الشورى واضحة، فقال عمر بن الخطاب: « لا خير في أمر أبرم بغير شورى»، (37)

كذلك التزم علي رضي الله عنه هذا المبدأ، ويتضح ذلك من خلال الخطبة التي على أساسها تمت مبايعته بالخلافة فجاء فيها: « أني قد كنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا أنه ليس لي أمر دونكم ، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وأنه ليس لي أن أخذ منه درهما دونكم، رضيتم: قالوا نعم، قال اللهم أشهد عليهم »؛ كذلك قال: « لا صواب مع ترك المشورة» (38) .

وقد سار الخليفة عثمان رضي الله عنه على نفس المنهج الذي سار عليه أصحابه رضي الله عنهما حيث شاور أهل الرأي فيما لم يجد نصا من كتاب الله وسنة نبيه. (39)

ونستخلص أن الدولة في الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأ الشورى الذي يعد الدعامة الأساسية في نظام الحكم .

2-2-2 تطبيق مبدأ الرقابة في الشريعة الإسلامية

تعد الرقابة ضرورة أساسية للإصلاح، وتطبيق قواعدها يؤدي الى رشاد الحكم، و المحافظة على ثروات الدولة من التعدي عليها بسرقتها أو غصبها أو الإسراف فيها، ولذلك سوف نتناول الرقابة في الكتاب الحكيم ثم في السنة النبوية الشريفة ثم عند الصحابة الكرام .

2-2-1- الرقابة في الكتاب الحكيم

تعتبر الآيات القرآنية الكريمة أساسا للرقابة على أعمال السلطات الموجودة في الدولة، وقد يقرر الإسلام مبدأ مسؤولية الشخص على أعماله في الحياة الدنيا، و هي مسؤولية تجد أساسها العقائدي في الإيمان بيوم الحساب، يوم يحاسب الناس على أعمالهم و يجازيهم عنها، إما بثواب الجنة أو بعقاب النار،

فهو سبحانه المحيط البصير والخبير بأعمالهم (40) ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (41)، وقال أيضا: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (42)، وكذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (43).

كذلك ما يؤكد رقابة الله لخلقه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (44)، كذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (45).

2-2-2- الرقابة في السنة النبوية الشريفة

تمثل الأحاديث الشريفة أساسا للرقابة على أعمال السلطة التي يتولاها أفراد من المجتمع، هؤلاء يشترط فيهم الأمانة و الجدارة على العمل بإخلاص، و أداء ما يكلفون به من عمل على أكمل وجه وإتقان، والمحافظة على ما ولوا عليه بحسن تدبيرهم ومنع الفساد فيه.

وبذلك كان من واجب ولي الأمر أن يؤلى على كل عمل من أعمال المسلمين، أصلح وأجدر وأكفاً لذلك العمل، فإن لم يفعل ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين في قوله " ﷺ ": " من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله". كذلك قال رسول الله " ﷺ " لأبي ذر رضي الله عنه عندما طلب منه أن يوليه أمر من أمور العامة فقال " ﷺ " " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها و أدى الذي عليه فيها". (46)

فهذه القصة توحى لنا أن النبي " ﷺ " حرص على بعض المتطلبات الأساسية في تولي المناصب العامة مثل كفاءة الأداء والمهارات الذهنية والعقلية وكان يبعد نظره يرى أن المهارات الذهنية والعقلية والقدرة على أداء هذه

الوظيفة غير متوفرة لدى هذا الصحابي، لذلك قال له أنك ضعيف ثم بيّن أنها أمانة وأنه سوف يسأل عنها يوم القيامة(47).

كذلك كان الرسول " ﷺ " يتجول في الأسواق ويراقب سلوك الأفراد والجماعات ويوجه المسلمين بمقتضى تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، فقد روى عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله " ﷺ " مر على صبرة ووجد طعام أدخل يده فيها ،فنالت أصابعه بللا، فقال :ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال " ﷺ ": "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا"(48).

فموقف الشريعة الإسلامية جاء واضحا في تكييفها للوظيفة العامة على أنها واجب والتزام وأمانة، لا بد أن تكون بعيدة عن الأغراض الشخصية والأهواء والهيول العنصرية والسياسية تلك الأغراض والهيول التي لم تتمكن الانظمة الوضعية الحديثة التخلص منها.

2-2-3- الرقابة عند الصحابة الكرام

في ضوء ما عرفناه بخصوص الرقابة في القرآن الكريم والسنة كذلك سار الصحابة الكرام على نفس الوتيرة حيث نادوا بمبدأ الرقابة على أعمالهم وما يؤكد ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند توليه مسؤولية الخلافة فقال: « إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله و رسوله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم» (49) .

كذلك الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان يدير شؤون الدولة بما يتفق وجوهر الشريعة الإسلامية ، حيث قال في خطبة له: «أيها الناس من رأى منكم في إعوجاجا فليقومه» وقال رجل، والله لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: « الحمد لله إذ أوجد في الأمة من يقوم عمر بسيفه» (50).

واهتم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بالرقابة على اعمال عماله ومحاسبتهم وإحصاء ثروتهم قبل توليهم المناصب، وتطبيق نظام مقاسمة أموالهم عندما كان يشك في ما كسبوه من مناصبهم كولاة واستعمال نفوذهم، ومما يذكر في هذا الأمر أنه رضي الله عنه خرج يوما إلى سوق المدينة فجاءه رجل يقول وعمره فلما سأله عن خبره، قال إن عاملا من عمالك أمر رجلا أن ينزل في واد ينظر كم عمقه، فرفض الرجل، لكن الوالي أرغمه على النزول، مما أدى إلى وفاته، فأحضر عمر رضي الله عنه هذا الوالي وقال له: «أما لولا أخاف الله أن تكون سبة من بعدي لضربت عنقك بيدي، ولكن لا تبرح عني حتى تؤدي ديتة: والله لا أوليك أبدا» (51).

فخلاصة القول أن الصحابة رضي الله عنهم حفظوا الأمانة واعتبروا الوظيفة شرفا عظيما، يجب المحافظة عليه بكل صدق وإخلاص.

الخاتمة:

جاءت الشريعة الإسلامية لتخرج الناس من الظلمات إلى النور و دليلها قوله تعالى: ﴿لِلّٰهِ وَلِیُّ الدِّیْنِ اَمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ﴾ (52) وبالتالي فهي رحمة كلها كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاۤءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (53)، كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (54).

من هذه الدلالات تعد الشريعة الإسلامية منهاجا قائما على أسس تضمن للأفراد والمجتمع معيشة كريمة واسعة تحقق مصالح البشرية جمعاء، خاصة وأنها صالحة لكل زمان ومكان، ولكن يبقى الخيار دائما للفرد بين الصلاح والفساد ومتى اختار الصلاح لحقه الفلاح في الدنيا والخيرة، ومتى اختار الفساد لحقته العقوبة في الدنيا والأخيرة.

ولأن الفساد ظاهرة خطيرة توغلت في كل المجتمعات، وتعد أكبر عقبة أمام الإصلاح من أجل التنمية والازدهار، خاصة في الدول العربية الإسلامية،

استلزم التصدي لها بإيجاد حلول ناجعة وسريعة موجودة في المنهج الإسلامي الداعي إلى الإصلاح .

ومن هنا فإن أهم النتائج المتوصل إليها هي:

1. الرجوع إلى العقيدة والأخلاق ، والتنبية إلى مخاطر العولمة التي تجتهد على تدمير عقول الشباب المسلم.

2. القضاء على الفقر لأنه فساد حقيقي يضرب العقيدة والخلق ، والأسرة والأمة.

3. تعيين الإطار الكفاء والشريف في المناصب الأساسية ، لاتعيين الأقارب والأهل والأصهار.

4. توسيع دائرة الشفافية التي تساعد على تضيق دائرة الفساد.

5. ايجاد أجهزة رقابة نزيهة ، وتحديد ضوابطها لتسهيل عملية الرقابة.

6. توسيع مجال المساءلة من طرف أجهزة متخصصة لذلك.

التوصيات:

1. الرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، والابتعاد على تقليد الغرب خاصة مع التطورات الحديثة التي أصبح يتبناها المجتمع الإسلامي عن طريق الأنظمة الحاسوبية والمعلوماتية.

2. الحرص على عودة الثقة إلى الناس، والإيمان بان النزاهة والشرف والجد في العمل يرفع من شأن الوطن والصالح العام.

3. سرعة البث في قضايا الفساد، استجابة لما تتطلبه المصلحة العامة.

4. ايجاد آلية للكشف عن طرق الفساد والقضاء عليها لانها تعرقل عملية التنمية ومسيرة التقدم في الوطن.

5. تطبيق نصوص القانون بجدية وصرامة.

التهميش:

- 1 - سورة المائدة الآية 64.
- 2 - سورة الأعراف الآية 56.
- 3 - سورة البقرة الآية 220.
- 4 - محمد المدني بوساق، "التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية" سلسلة ودراسات شرعية معاصرة -أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية -دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص13
- 5 - وليد إبراهيم الدسوقي، "مكافحة الفساد في ضوء القانون والاتفاقيات الإقليمية والدولية ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2012، ص17.
- 6 - نزيه عبد المقصود محمد مبروك، الفساد الاقتصادي، أسبابه، أشكاله، آثاره، آليات مكافحته، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2013، ص17.
- 7 - محمد سعيد محمد الرملوي، أحكام الفساد المالي والإداري في الفقه الجنائي الإسلامي، د ن ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2012، ص121
- 8 - سورة البقرة الآية 11.
- 9 - سورة آل عمران الآية 63.
- 10 - سورة الشعراء الآية 152.
- 11 - سورة محمد الآية 22
- 12 - سورة الفجر الآية 12، 11.
- 13 - سورة الروم الآية 41.
- 14 - نزيه عبد المقصود محمد مبروك، المرجع السابق، ص20.
- 15 - محمد الحسين الجوهري، الفساد الإداري وأثره على التنمية الاقتصادية دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية، د ن ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2018، ص37
- 16 - محمود محمد معاذ - الفساد الإداري وعلاجه في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة في القانون الإداري، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص79.
- 17 - جمعة قادر صالح "الفساد الإداري وأثره علي الوظيفة العامة"، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، ط1 منشورات زين الحقوقية، لبنان، 2016، ص23
- 18 - محمود محمد معاذ، المرجع السابق، ص79.

- 19 نزيه عبد المقصود محمد مبروك، المرجع السابق، ص21.
- 20 محمد سعيد محمد الرملاوي، المرجع السابق، ص136.
- 21 عادل عبد العال ابراهيم خراشي "مكافحة جرائم الفساد في ضوء اتفاقية الامم المتحدة (بين القانون الوضعي والفتخ الاسلامي) د ن ط، دراسة مقارنة دار الجامعة الجديدة ،مصر2016، ص133.
- 22 سورة القلم الآية4
- 23 عادل عبد العال ابراهيم خراشي ،المرجع السابق، ص129.
- 24 سورة الحشر الآية 7 .
- 25 رابح زرواتي،"موقف الإسلام من الفقر"، مجلة الشريعة والاقتصاد، قسنطينة، الجزائر، العدد 4 ديسمبر 2013، ص 145.
- 26 محمد حسين الجوهرى، المرجع نفسه، ص53.
- 27 أحمد شلبي ، "الفساد السياسي، أسبابه وطرق مكافحته سياسيا، إداريا، اقتصاديا إجتماعيا"، ط1، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر 2012. ص83.
- 28 سورة النحل، الآية90.
- 29 أعمر يحياوي، "الخصائص العامة للشريعة الإسلامية "نموذج من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم -دار هومة، الجزائر 2009. ص4.
- 30 أعمر يحياوي، "المرجع السابق، ص49.
- 31 سورة المائدة، الآية8
- 32 وليد ابراهيم الدسوقي، المرجع السابق، ص38.
- 33 سورة آل عمران، الآية158.
- 34 سورة الشورى، الآية 38.
- 35 وليد ابراهيم الدسوقي، المرجع السابق، ص 47.
- 36 السيد محمد حسين الجوهرى المرجع السابق، ص 176 .
- 37 احمد محمد الصمد، " نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين"، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ،1999، ص115.

- 38 بشير محمد الخضراء، "النمط النبوي الخلفي - في القيادة السياسية العربية والديمقراطية-"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان 2005، ص 155.
- 39 السيد محمد حسن الجوهري، المرجع السابق، ص178.
- 40 وليد إبراهيم الدسوقي، المرجع السابق، ص 41.
- 41 سورة النساء الآية 108.
- 42 سورة آل عمران الآية 156.
- 43 سورة النساء الآية 01 .
- 44 سورة الأحزاب الآية 40
- 45 سورة آل عمران الآية 19
- 46 السيد محمد الجوهري، المرجع السابق، ص147
- 47 نزيه عبد المقصود محمد مبروك، المرجع السابق، ص 157.
- 48 عادل عبد العال إبراهيم خراشي، المرجع السابق، ص141.
- 49 وليد إبراهيم الدسوقي المرجع السابق ص42.
- 50 حسين شحاته ، المرجع السابق ض 20
- 51 السيد محمد حسين الجوهري، المرجع السابق ، ص152
- 52 سورة البقرة الآية 257.
- 53 سورة الأنعام الآية 157
- 54 سورة الأعراف الآية 52.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.

الكتب:

1. أحمد شلبي، "الفساد السياسي، أسبابه وطرق مكافحته سياسيا، إداريا، اقتصاديا إجتماعيا"، ط1، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر 2012.
2. أحمد محمد الصمد، "نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين"، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999.

3. أسامة السيد عبد السميع، "الفساد الإقتصادي وأثره على المجتمع"، دراسة فقهية مقارنة، د ط، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية مصر 2009.
4. أعمار يحيوي، "الخصائص العامة للشريعة الإسلامية" نموذج من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم - دار هومة، الجزائر 2009.
5. بشير محمد الخضراء، "النمط النبوي الخلفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، 2005.
6. بلال أمين زين الدين، "ظاهرة الفساد الإداري في الدول العربية والتشريع المقارن مقارنة بالشريعة الإسلامية"، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية مصر 2009.
7. جمعة قادر صالح، "الفساد الإداري وأثره على الوظيفة العامة" دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، منشورات زين الحقوقية، بيروت لبنان، 2016.
8. السيد محمد الحسن الجوهري، "الفساد الإداري وأثره على التنمية الاقتصادية" دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2018.
9. عادل عبد العال ابراهيم خراشي، "مكافحة جرائم الفساد في ضوء اتفاقية الأمم المتحدة (بين القانون الوضعي والفقه الإسلامي) دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر 2016.
10. عماد الشيخ داود، "الشفافية والمراقبة- الفساد و الحكم الصالح في البلاد العربية، ط 1، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع المعهد السويدي بالإسكندرية، مصر، 2004.
11. محمد المدني بوساق، "التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية" سلسلة ودراسات شرعية معاصرة -أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية -دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
12. محمد سعيد محمد الرملاوي، "أحكام الفساد المالي والإداري في الفقه الجنائي الإسلامي" دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2012.
13. محمود محمد معايرة، "الفساد الإداري وعلاجه في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة بالقانون الإداري"، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان الأردن 2011.

14. نزيه عبد المقصود محمد مبروك، "الفساد الاقتصادي، أسبابه، أشكاله آثاره، آليات مكافحته، دراسة مقارنة بالفكر الإسلامي"، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، عام 2013م.
15. وليد ابراهيم الدسوقي، "مكافحة الفساد في ضوء القانون والاتفاقيات الإقليمية والدولية"، ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ، القاهرة مصر 2012.

المجالات :

1. راجح زرواتي، "موقف الإسلام من الفقر"، مجلة الشريعة والاقتصاد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 04، 2013.
2. حسين شحاتة، "حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية -دراسات اقتصادية-، مؤسسة ابن خلدون للدراسات والبحوث، الجزائر، العدد 03، 2004.